مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 7 العدد 1 / جوان 2021
ص ص 131–145

الخصائص العمرانية والاقتصادية للمدن العربية الكبرى في القرن 19م من خلال ملاحظات الرحالة الفرنسيين - القاهرة أنموذجا -

The Urban & Economic Characteristics of Major Arab Cities in the Nineteenth Century, through the French Travelers Observations - Cairo as a Model –

حصاد عبد الصمد [1]*، قرين مولود [2]

[1] جامعة يحي فارس، المدية، مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور (الجزائر)،
hassad.abdessamed@univ-medea.dz

[2] جامعة يحي فارس،المدية، مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور (الجزائر)،
mouloud.grine@univ-medea.dz

الاستلام: 2021/05/01 القبول: 2021/06/18 النشر: 2021/06/30

ملخص:

تعد الرحلة من أهم المصادر التاريخية التي تدعم الباحث بمادة علمية غزيرة، خاصة وأن الرحالة قد دونوا وسجلوا كل الملاحظات الدقيقة التي شاهدوها في المناطق التي زاروها، ويعتبر الرحالة الفرنسيون من رواد الرحلات الأوربية إلى الشرق، وهناك عدة عوامل دفعتهم إلى الرحلة يأتي على رأسها العامل الديني في إطار ما يعرف بالحج المسيحي، وهو يمر بعدة محطات من بينها محطة القاهرة التي تحتوي على بعض المقدسات الدينية للمسيحيين، ومن هنالك يواصلون رحلتهم الحجية إلى بلاد الشام، وشهد القرن 19م تزايد عدد الرحلات الفرنسية بشكلكبير، خاصة بعدما منحت فرنسا امتيازات وتسهيلات وضمانات من قبل الدولة العثمانية، وعلى رأسها امتياز حماية الأرثوذكس والمقدسات الأرثوذوكسية ببلاد الشام، وبالتالي كثرة الكتابات والمؤلفات الفرنسية، والتي من خلالها حاولنا معرفة الصورة التي رسمها هؤلاء الرحالة للمدن الإسلامية العربية، واخترنا القاهرة كنموذج باعتبارها من أبرز المدن العربية في ذلك الوقت وكذلك باعتبارها من أبرز المحطات في الرحلات الفرنسية، واعتمدنا في كتابة هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي.

الكلمات المفتاحية :الرحلة - القاهرة - القرن 19م - فرنسا - الأهرامات .

Abstract:

The trip is considered as one of the most important historical sources that supports the researcher with an abundant scientific materials, especially since the travelers have recorded all the observations they saw in the areas they visited. The French travelersare ones of the pioneers of the traveler to the East, there are several factors that make them to be in this trip. In the forefront of which is the religious factor in the framework of what is known as the Christian pilgrimage in which it passes through several stations, including the Cairo station, which contains Christian sanctuaries. From there they continue their pilgrimage trip to the Levant .The nineteenth century witnessed a significant increase in French trips, especially that France got privileges fromThe Ottoman Empire to protect theorthodoxe as well as their holy places, and thus the abundance of French writings, through which we tried to find out the impressions that these travelers make for Arab Islamic cities, and we choose Cairo as one of the most prominent Arab cities at that time, as well as being one of the most prominent stations in French travel.We relied on the descriptive historical method while writing this reaserch paper.

Key words: trip - Cairo - 19th Century AD - France - The Pyramids.

* المؤلف المراسل

01- مقدمة:

اشتهر العرب المسلمون برقيهم المعماري الفاخر في العصور الإسلامية الزاهرة الأولى، ومازالت عمارتهم التي خلفوها شاهدة على هذه العظمة والتطور، وابتنى العرب مدنا كبيرة استقر فيها دينهم وحضارتهم على مر الزمن وما زالت تلك المدن قائمة حتى اليوم، وتحتل مكانة تاريخية وحضارية هامة حيث أثناء تجولك بها ترى شواهد تتحدث كلها عن ماض تليد وتراث خالد، وتعتبر مدينة القاهرة من أوائل المدن الإسلامية الكبرى التي بنيت في منطقة شمال إفريقية، وقد أسسها عمرو بن العاص سنة 21هـ/ 641م بمعاونة بعض قادته الذين قاموا بتخطيطها، وبدأت في التطور شيئا فشيئاحيث بنى صالح بن علي العباسي على أيام السفاح منطقة العسكر شمال الفسطاط في 132هـ/750م، وشيد أحمد بن طولون القطائع سنة 256هـ/870م ليتم جوهر الفاطمي تطوير هذا التدرج العمراني ببناء مدينة القاهرة في 358هـ/969م، ثم أتبعها ببناء جامع الأزهر في 24 جمادى الأولى 359هـ الذي قدر له أن يشاطر المدينة حياتها المديدة .

و تعتبر مدينة القاهرة من أهم المحطات التي شهدت توافد الكثير من الرحالة الأوربيين، خاصة الرحالة الفرنسيين الذين جلبوا على حب الترحال منذ العصور القديمة، واختلفت أهدافهم ودوافعهم من وراء الرحلات فمنها الدافع الديني، الاستخباراتي، الإقتصادي أو حب الإستكشاف والمغامرة وغيرها من الدوافع، ويعد الدافع الديني من أهم دوافع الرحلة الفرنسية خاصة في إطار ما يعرف بالحج المسيحي الموحد لبيت المقدس، وكان هذا الحج يمر بعدة محطات بارزة واختلفت طرقه، وطريق الحج الإسكندرية القاهرة بيت المقدس هو من أشهرها، خاصة بالنسبة للفرنسيين الذين ألهموا بسحر مصر خاصة بعد الحملة الفرنسية عليها سنة 1798م، وكذلك بعد أن منحت فرنسا امتياز حماية الأقليات والمقدسات الأورثوذوكسية في بداية القرن 19م، ليعرف عدد الرحلات الفرنسية للمنطقة تزايدا كبيرا، وكثرة أدبيات الرحلة والمؤلفات حول بلاد المشرق عامة ومصر خاصة، ودون الرحالة كل ملاحظاتهم حول المنطقة ووصفوها وصفا دقيقا.

من خلال هذه الدراسة حاولنا أن نستغل هذه المادة العلمية الغزيرة التي خلفها الرحالة الفرنسيون، وذلك من أجل معرفة نظرة الآخر للمجتمعات الإسلامية ورأيهم فيها، وكذلك الرغبة في معرفة الصورة التي رسمت لهذه المنطقة بأقلام الأجانب، وكذلك تدوين معلومات هامة وربما جديدة حول العديد من المناطق وحول أنماط المعيشة لسكان هذه المنطقة وتفاعلاتهم الإقتصادية وإنجازاتهم العمرانية، مع أخذ الحيطة والحذر من المعلومات ومقارنتها بالكتابات المحلية لتقصي الحقائق وبناء تاريخ للمنطقة خالي من الذاتية قريب إلى الموضوعية، وحددت فترة الدراسة بالقرن 19م وهو القرن الذي انفتحت فيه البلاد العربية الإسلامية على العالم الغربي بسبب سياسة الدولة العثمانية.

اعتمدنا في إنجاز هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي لمعالجة القضايا المتعلقة بالعمران في القاهرة، وكذلك المنهج التاريخي التحليلي لمعالجة قضايا الاقتصاد في مدينة القاهرة، وقسمنا الدراسة إلى مدخل تناولنا فيها وصف عام لمدينة القاهرة وتحدثنا فيه أيضا عن سكان القاهرة، لننتقل إلى الحديث عن المباني بالقاهرة بكل أنواعها، وختمنا الدراسة بالحديث عن التفاعلات الاقتصادية لمجتمع مدينة القاهرة.

02- مدخل:

القاهرة من أعظم المدن المصرية وكما يقال من لم يرى القاهرة لم يرى شيئا (vausc، 1883،

صفحة 21)، فهي مدينة شرقية بامتياز، ومن أعلى أسوارها قبل الدخول إليها ترى بانوراما عظيمة نهر النيل، الريف، النخيل الأخضر، وفي بحر الرمل ترى الأهرامات (paul، 1865، صفحة 23)، كما ترى قبل دخول القاهرة من بعيد المآذن المثمنة ومساكن الطوب (marquette، 1892، صفحة 30)، ويسميها العرب مصر والقاهرة بمعنى المنتصرة (marquette، 1892، صفحة 31)، وهي عاصمة مصر منذ أن سيطر عليها المسلمون وهي مقسمة إلى ثلاث أقسام القسم الأول يسمى بولاق والثاني يسمى القاهرة القديمة والثالث يسمى القاهرة الجديدة وبولاق هو الميناء الرئيسي للمدينة، كما تشكل القاهرة القديمة ميناء ثانيا وهي أقدم جزء من المدينة يقال أنها تأسست سنة 500 ق . م (francois l.، 1875، صفحة 40)، كما بنيت تحتها مدينة اسمها بابل مصر أسسها عمرو بن العاص خليفة عمر بمصر سنة 640م (marquette، 1892، صفحة 46)، أما القاهرة الجديدة أو الكبرى فهي تقع بين القاهرة القديمة وبولاق إلى الشمال على بعد كيلومترين عن نهر النيل (francois l.، 1875، صفحة 40)، وتعتبر منطقة بولاق من المناطق الجيدة البناء، وهي مأهولة بالسكان وعصب التجارة في القاهرة، كما أننا نجد القاهرة السفلى وتسمى ببابل الجديدة وهي عبارة عن توسعة لمدينة القاهرة القديمة (francois m.، 1835، صفحة 19).

أما بالنسبة لسكان القاهرة فيتراوح عدد سكان بولاق ما بين 10 إلى 12 ألف نسمة، أما القاهرة الجديدة والقديمة فيتراوح عدد سكانها مابين 3 إلى 4 آلاف نسمة (francois m.، 1835، صفحة 17)، وسكانها خليط من جميع الأجناس والوجوه واللغات والأديان، فتجد المماليك أصحاب البشرة البيضاء والأعين الزرقاء، وتجد الزنوج أصحاب الأطراف الرقيقة والأنف المسطح وعظام الفك الجاحظة، ويوجد الحبشي الذي يتميز بملامح جسم المملوكي ولون الزنجي، كما تجد العرب والأقباط واليهود (eshemann، 1897، صفحة 18)، ويشكل العرب الأغلبية أما الأقباط فهم أقل نسمة وفي آخر الترتيب تجد اليهود وهم فئة قليلة في المجتمع المصري (vausc، 1883، صفحة 18)، إضافة إلى جاليات مسيحية شرقية مقيمة في القاهرة كاليونانين والأرمن، كما ازداد نفوذ الكاثوليك السوريين في القاهرة تدريجيا مع بداية القرن الثامن عشر، وقد قدموا أساسا من دمشق وحلب.

كان المجتمع المصري مقسما إلى مراتب مع وجود فوارق بين الطبقة الحاكمة التي هي من أصل أجنبي عن الأهالي، مع وجود العلماء في موقف الوسط، ويتوافق هذا التقسيم مع رؤية المعاصرين لتلك الفترة والذين كانوا يفرقون بين هذه الطبقات على أساس أصولها العرقية ووظائفها، فقد كان أهل السيف هم الأجانب الذين يباشرون وظائف عسكرية وحكومية، وأهل القلم المنقطعين للوظائف الدينية ويشاركون في بعض الوظائف الإدارية، وأخيرا الرعايا المحصورين في الأنشطة الإنتاجية، وقد قبل المصريون هذا الأمر لاسيما أن نفس التنظيم كان قائما في عهد المماليك (رايمون أ.، 1994، صفحة 191).

مدينة القاهرة تحتوي على مزيج ديني فتجد المسلمين والمسيحيين واليهود والزنوج، وبالنسبة للمسيحيين فتجد الأرثوذوكس ولهم معابدهم الخاصة، والكاثوليك التي تعتبر فئة قليلة لكن بالرغم من ذلك فهم يمتلكون الكثير من المؤسسات (missionnaire، 1879، صفحة 71)، ومدينة القاهرة كانت من أكثر المناطق الإسلامية تسامحا مع الفئات الذمية حتى أن العامة من الناس المتعصبين كانوا لا يلعنون أو يسبون المسيحيين واليهود أو الأرمن، وأصبحت حياة هذه الفئات عادية فتراهم يتاجرون بحرية

في الأسواق والمتاجر والأماكن العامة، وتنتشر الأحياء التي يسكنها الأقباط والإفرنج والروم واليهود في كل أجزاء المدينة دون أن تحميها أسوار خاصة، وتمارس كل طائفة شعائرها الدينية دون أية مضايقة (الفرنسية، 1992م، الصفحات 206-207).

03- المباني في القاهرة :

في القاهرة ترى نماذج جميلة وأصيلة للفن العربي في أفضل حالاتها (vausc، 1883، صفحة 3)، القاهرة مدينة جميلة تتحسن كل يوم، وفيها العديد من المنشآت في طور الإنجاز، وتستطيع بها أن تنافس كبريات المدن في العالم، وتتميز مبانيها العامة والخاصة بالجمال، وتمتد هذه المدينة تحت قلعة محمد على وبالتالي هي في منطقة منخفضة (eshemann، 1897، صفحة 19)، وعموما هي مدينة ضخمة بها العديد من المساجد والمنازل والتحف والنافورات وغيرها (eshemann، 1897، صفحة 21)، وتظهر من بعيد كأنها خلية نحل ضخمة (vausc، 1883، صفحة 3)، كما تتميز بفنادقها الجميلة التي تمكن السائح من الحصول على جميع وسائل الراحة الموجودة في أوربا (marquette، 1892، صفحة 31).

أ- الشوارع والمباني السكنية :

أولا - الشوارع :

القاهرة بها أحياء تظهر على شكل متناسق (leon، 1893، صفحة 34)، وبعض شوارعها تنافس الشوارع الموجودة في باريس والحركة فيها كثيرة وتجدها مكتظة بالمشترين (marquette، 1892، صفحة 31)، وذلك لأن شوارع القاهرة ضيقة جدا إلى درجة توفر الظل طوال اليوم (beluze، 1864، صفحة 138)، وفي بعض الأحيان تجد الشوارع مسدودة (salle، 1840، صفحة 73)، وهو الأمر الذي جعل السكان يستعملون الحمير للنقل وعددها في القاهرة كبير جدا فهي لا تعد ولا تحصى (missionnaire، 1879، صفحة 60)،كما ترى طوابير طويلة للجمال التي تستعمل أيضا في نقل السلع والبضائع (vausc، 1883، صفحة 3)، ووصف الرحالة أمبير في عام 1840م إزدحام القاهرة بقوله: " ... لا يوجد ما هو أكثر إزدحاما من شوارع القاهرة، تصور ثلاثين ألف خص يركضون أو يركبون فوق الحمير في الشوارع الضيقة والمتعرجو، وسرعان ما نصاب بالإرتباك وسط هذه الدوامة..." (رايمون أ.، 1994، صفحة 216)، والشوارع مكونة من صفوف مزدوجة من المحلات التجارية (moncorps، 1873، صفحة 49).

شوارع القاهرة نشيطة جدا ومليئة بالحركة وتجد بها خليط رائع يتشكل من تجار البطيخ والمشروبات والمخابز والطهات المتجولين، إضافة إلى حلاقين في الهواء الطلق وترى المتسولين هنا وهناك (missionnaire، 1879، صفحة 60)، كما تجد تجار الفول والمياه يصيحون بأعلى أصواتهم لبيع سلعهم، والمقاهي تجدها ممتلئة بالمدخنين (edmond، 1864، الصفحات 68-69)، ولمقاهي القاهرة عالم فريد متشابك العناصر، فهي تحوي الملامح الإنسانية العامة ولها سماتها الخاصة جدا، ففي مقهى القاهرة يجلس الناس حول المناضد متواجهين يتبادلون الأحاديث والنجوى والمصالح المادية ويقضون بها الحاجات ويعقدون الصفقات، ومنهم من يجلس وحيدا يحملق في الفراغ وقد يحاول أحيانا التحدث لجاره الذي لا يعرفه وقد تصبح بعدها العلاقة متينة، ويمكن القول أن المقاهي في القاهرة كانت تشكل جزءا أساسيا من حياة السكان (الغيطاني، 1997م، صفحة 3).

كما ترى بعض التجار المتجولين الذين يحملون فوق رؤوسهم أباريق ذات قاعدة مستديرة وهي مخصصة للشاي (vausc، 1883، صفحة 4)،

كما توجد أحياء خاصة بالنصارى وأهمها الحي القبطي الذي يتميز بشوارعه الضيقة، وتجد به الخنازير هنا وهناك، كما توجد به كنيسة سانت مـــاري (missionnaire، 1879، صـــفحة 77) إضـــافة إلـى أنـــه ملـيء بـــالمحلات التجاريـــة (missionnaire، 1879، صـفحة 58)، وأحيـاء الأقليات في القاهرة تتميز بأنها منعزلة ويعود ذلك لعدة أسباب وأهمها رغبة السلطات في مراقبة الأقليات، وبالتالي يتم وضعها في مكان خاص وقريب منها لتسهل عملية المراقبة، ومن جهة أخرى الأقليات كانت ترغب في التجمع والعيش معا في حياة جماعية مشتركة، وهو الأمر الذي يمنحهم حرية كبيرة في ممارسة فرائضهم الدينية ولتسهيل مهمة سلطاتهم الخاصة في تسيير شؤونهم، وكذلك تحقيق جانب من الأمن بتجمعهم مع بعضهم البعض في مكان واحد (رايمون أ.، 1994، صفحة 242).

ثانيا - المباني السكنية :

يقدر عدد المباني المأهولة في القاهرة بستة وعشرين ألف منزل تضم تسعة أفراد إلى عشرة وفق بعض الإحصائيات (الفرنسية، 1992م، صفحة 242)، وعندما تعبر في شوارع القاهرة تشعر كأنك في متاهة ضيقة متعرجة تصطف في جوانبها المنازل ذات الطوابق العليا المتدلية على الطريق بجزئها العلوي، أما الطوابق السفلية فتجد فيها المتاجر الصغيرة التي تمارس فيها جميع الحرف والصناعات وتباع بها جميع المنتجات، مخابز، محلات المعجنات، الحلويات، المطاعم، المقاهي، وترى بهذه الشوارع حشودا كبيرة وفوضى عارمة وهذه الشوارع غير معبدة، كما تلاحظ حركة كبيرة ذهاب ومجيء المشاة بحميرهم وجمالهم وسياراتهم هنا وهناك، وترى مساجد منهارة إضافة إلى وجود أكواخ للفقراء، كما توجد العديد من المدارس القرآنية لتعليم الأطفال، (leon، 1893، صفحة 35)، والمنازل قريبة من بعضها إلى درجة الالتصاق وتتلاقى الأجزاء العلوية منها (salle، 1840، صفحة 73).

يتم رسم واجهات المنازل بشرائط كبيرة بيضاء وحمراء، وفي الطابق الأرضي يوجد فناء واسع وغرفة معيشة تسمى ديوان، والفناء مفروش بالأرائك التي يتم فيها استقبال الضيوف، والسقوف خشبية والأرضية مغطاة بالسجاد والجدران مغطاة بالجص ومطلية باللون الذهبي، ويقع الباب في الوسط وغالبا يكون مطليا باللون الأحمر والحواشي تكون بيضاء وفيها خطوط سوداء صغيرة، والشقق النسائية تقع في الطابق العلوي ولها نوافذ مزينة بزجاج ملون (moncorps، 1873، صفحة 50).

مواقد المطابخ تتكون من أربعة قوائم خشبية متصلة بشكل مباشر بألواح من القصب والجص، وفي فناء المنازل تجد درجا يأخذ للشقق الموجودة في الأعلى، وتجد السطوح ممتلئة بأقفاص الدجاج (salle، 1840، صفحة 74)، كما أن القاهرة بها العديد من الفنادق الرائعة وبعضها ساحر الشكل وبها مساحات خضراء وتوجد بها أيضا ساحات رائعة (leon، 1893، صفحة 34)، ما زالت بعض النماذج من هذه البيوت قائمة إلى يومنا هذا، وهي مجموعة لا يمكن أن تجد لها مثيلا في أي عاصمة بلد أو في أي مدينة بالعالم قاطبة، وإلى جانب أنها تضم تراثا معماريا وفنيا فإنها تقدم لنا صورة حقيقية لنمط الحياة في مصر (الغيطاني، 1997م، صفحة 100).

ب- المساجد :

تعد المعالم الدينية بالقاهرة من أكثر المعالم التي تجذب انتباه الفرد وهي كثيرة العدد، ومنشآت القاهرة الدينية متنوعة فنجد المساجد مؤسسات الإحسان والتكايا والخانقاوات (الفرنسية، 1992م، صفحة 183)، وبالنسبة لمساجد القاهرة فهي مثيرة للاهتمام بنيت

بعضها في عهد عمرو بن العاص والبعض الآخر في عهد طولون وبرقوق حسن، لكن لسوء الحظ أغلبها في حالة خراب والجدران تتداعى وجدران أخرى محطمة، وبصفة عامة تجد مساجد القاهرة القديمة تسبقها أفنية شاسعة، أما الحرم فهو محاط بأروقة مفتوحة ذات أعمدة وفي الوسط نجد نافورة تعلوها قبة صغيرة وهي مخصصة للوضوء (moncorps، 1873، صفحة 51)،و محاريب المساجد مزخرفة بشكل جميل جدا وفيها يوجد المنبر، أما خارج المساجد فهو عبارة عن أسطح مستوية وكبيرة بها نوافذ وأبواب مرتفعة، وفي وسط المسجد تجد قبة كبيرة وفي الأطراف توجد المآذن وهي عبارة عن أبراج لها شرفات منها يؤذن للصلوات الخمس (moncorps, 1873, p. 52)، وتنفرد مدينة القاهرة بوجود مجموعة كبيرة من المآذن تعود لعصور مختلفة، وتتميز كل واحدة منها بخصائص العصر الذي بنيت فيه وملامحه وتعطينا أرشيفا حيا لتطور العمارة الإسلامية (الغيطاني، 1997م، صفحة 85).

عدد المباني الدينية في القاهرة كبير جدا خاصة المساجد (moncorps، 1873، صفحة 54)، ولا يوجد حي في القاهرة يخلو من المساجد بل هي موجودة في كل شارع (edmond، 1864، صفحة 68)، فمدينة القاهرة معروفة بكثرة مساجدها التي تصل إلى 400 مسجد منها 250 مسجد تحتوي على مآذن كبيرة (marquette، 1892، صفحة 33)، وحوالي 150 مسجد من هذه المساجد مفتوح والبقية مغلقة بسبب الخراب والدمار الذي لحقها (francois m.، 1835، صفحة 4) ومن أهم المساجد الموجودة بالقاهرة:

- مسجد السلطان حسان:

- بناه السلطان المملوكي حسن في فترة حكمه الثانية التي بدأت سنة 1354م، وامتدت فترة بناء هذا الصرح الإسلامي العملاق ستة سنوات من سنة 1356م إلى غاية سنة 1361م، وهذا المبنى صمم لاستيعاب عدد كبير من المصلين وكذلك الدارسين الذين خصصت لهم 400 مقعد، ويظل هذا البناء شاهدا عمرانيا على عظمة الفن المعماري المملوكي والذي عرف عصرهم تشييد العديد من المنشآت الدينية التي لا يزال أغلبها قائما، وقد قدر بعض المؤرخين أن بناء هذا المسجد كلف 20 ألف درهم يوميا مما جعله من صروح القاهرة الأغلى تكليفا (رايمون أ.، 1994، صفحة 132).

هذا المسجد يعتبر من أقدم المساجد الموجودة بمدينة القاهرة، وهو مبني على شكل صليب يوناني، يبلغ ارتفاع قبته إلى 55 متر ومآذنه يصل طولها إلى 86م، كما يصل طول جدرانه إلى 8 أمتار، أما الطول الإجمالي للمبنى فيصل إلى 140 متر، وهو مصنوع من حجارة مطلية بالتناوب بالأبيض والأحمر ثم الرخام المغمور بالذهب (marquette، 1892، صفحة 33)، أما في التركيب الداخلي للمسجد فنجد البلاط متكون من فسيفساء غنية جدا، لكن لسوء الحظ هذا المسجد يعرف تدهورا كبيرا ولم يتم ترميمه .

- مسجد محمد علي :

من أشهر المساجد في القاهرة أيضا نجد مسجد محمد علي وهو يعطي من بعيد مشهدا مهيبا وعظيما بسبب كتلته الكبيرة وقبابه الواسعة ومآذنه الشاهقة، وقد أرف على تشييد هذا الصرح مهندس أرميني مجهول الاسم، وتم افتتاحه سنة 1832م لكن لم يكتمل بناؤه إلا في سنة 1857م (رايمون أ.، 1994، صفحة 265)، الذي يتميز بقدسية كبيرة لدى سكان القاهرة ويمنع دخوله دون نزع الأحذية، وبمجرد دخوله تجد فناء كبير محاط بصف من أعمدة المرمر الجميلة إضافة إلى نافورة موجودة في الوسط مخصصة للوضوء، وتجد المسلمين داخل المسجد منشغلين بقراءة القرآن وكذلك

ينشغلون باستماع الدروس الدينية التي يلقيها مشايخ المسجد(marquette, 1892, p. 40) ،أما الأرض فهي مغطاة بالكامل بواسطة السجاد والحصير ذو النوعية الجميلة (leon، 1893، صفحة 53)، وتجد في المسجد مقبرة لمحمد علي والتي خصص لها ضريح جميل .

هذا المبنى يشبه المساجد العظيمة في اسطنبول وهو بناء هائل مغطى بالرخام، وداخل المسجد مغطى كاملا بالمرمر الشرقي، وفي الأعلى تلاحظ غابة من الحبال التي تتدلى منها عدد كبير من الثريات، (delaplanche, 1876) ،و يوجد بها عدد كبير من المصابيح ذات الإضاءة السحرية (eshemann، 1897، صفحة 20)، أما أعمدة المسجد مغطاة بالمرمر الشرقي الملون بالعنبر وتعلوه قبة كبيرة و توجد بجانبها أربعة أنصاف قباب إضافة إلى أربعة قباب صغيرة مثمنة في الزوايا(marquette, 1892, p. 35) ، والقبة الكبيرة مدعومة بأربعة أعمدة هائلة طولها حوالي 20 متر (delaplanche، 1876، صفحة 40) وهي معرقة بالرخام الأحمر المعروف باسم الجزع وهو معروف في قارة إفريقيا، ويتميز المسجد بمآذنه الخمسة (eshemann، 1897، صفحة 20) وهي أنيقة في شكلها وترى فيها عظمة التخطيط ورفاهية الزخرفة وهي ترتفع حوالي 95 متر (moncorps، 1873، صفحة 55).

يشكل المسجد بانوراما جميلة وتحيط به العديد من السهول الهائلة وتوجد ورائه العاصمة المصرية العظيمة، التي تكشف بكل تفاصيلها بمئادنها وقبابها ويقابله النيل الذي يسير في سريره الواسع بمياهه الهادئة، وفي الأفق تتدلى الأهرامات بكتلتها الهائلة في السماء الزرقاء، إنه مشهد فريد من نوعه في العالم يجمع روعة السماء وثروات الطبيعة ووقار الصحراء (delaplanche، 1876، صفحة 42)، كما نجد جانب المسجد ما يعرف ببئر يوسف وهو عبارة عن غرفة مربعة عميقة للغاية ومنحوتة في الجبل (leon، 1893، صفحة 52).

- مسجد عمرو بن العاص:

يأخذ شكل شبه مربع تعلوه مئذنتين ويوجد به رواقين بسيطين جدا وقد تم تدمير الفناء الأول، وتحت المئذنة الوسطى يوجد فناء كبير مساحته حوالي 80 متر مربع وفي وسط الفناء نجد ينبوع للوضوء وهو محاط بالعديد من الأعمدة حيث لا يوجد أقل من 230 عمود ومن هنا أخذ المسجد تسمية مسجد الألف عمود،و يصل ارتفاع الأعمدة إلى 5 أمتار وهي مترابطة بواسطة أروقة مزدوجة (marquette، 1892، صفحة 46)، وطول الأعمدة غير متكافئ وحتى الألوان غير متشابهة فنجد اللون الأسود، الأخضر، الرمادي، وبعض الرخام السماقي، وقد أعيد بناؤه وترميمه عدة مرات (francois m.، 1835، صفحة 20)، وهو موجود في منطقة معروفة بأهل الراية قرب نهر النيل وقد اختار المكان عمرو بن العاص ليكون عاصمة لمصر ومقر لحكمها، ثم اتخذ الجامع مركزا لتخطيط عاصمة مصر الإسلامية فبنى داره بجوارها واختط الجند دوره حولها، وبذلك صار هذا المسجد أساسا لمدينة الفسطاط (نجيب، 2000، صفحة 404)

- عرف المسجد عدة ترميمات ومن أهم الترميمات التي عرفها الترميم الذي كان في نهاية العهد الأموي، حيث تم توسيعه وتجديده في عام 673م على عهد ولاية مسلمة بن مخلد الأنصاري، وقد تمت مضاعفة مساحة المسجد وشيدت المآذن في أركان المسجد الأربعة، وفي عام 698م قام الوالي عبد العزيز بن مروان أيضا بتوسيع مساحة المبنى للتضاعف المساحة مرة أخرى خلال السبعين السنة اللاحقة (رايمون أ.، 1994، صفحة 22).

- مسجد طولون:

- يعود لعام 879م وبني في عهد ابن طولون والذي تمكن من إنجاز منشآت تركت أثرا مهيبا، ويعتبر من أهم صروح الفن المعماري الإسلامي الأكثر روعة، وبدأ تشييده في سنة 876م واكتمل بناؤه في سنة 879م وذلك وفقا للكتابة المنقوشة على مبنى المسجد والموجودة في حرمه (رايمون أ.، 1994، صفحة 29)، وقد شيد ابن طولون العديد من المنشآت العمرانية في القاهرة غير أن أعظمها وأبقاها أثرا وأطولها عمرا مسجده الجامع الذي لا زال باقيا على حاله، ويعتبر ثالث المساجد الجامعة في مدينة القاهرة (نجيب، 2000، صفحة 435)، وهذا الحرم محاط بثلاث أروقة، والمصلى مقسم لخمس بلاطات متوازية وطويلة، أما قبة المسجد فهي صغيرة وتتوج بمئذنة يعلوها قارب بدل الهلال الذي يوجد في بقية المساجد وهو مصنوع من مادة البرونز (leon، 1893، صفحة 50)، ويتطابق طراز هذا الصرح المعماري مع المساجد الموجودة في مدينة سمراء العراقية فهو مبني بصفة عامة من الآجر ماعدا المئذنة المبنية بالحجر، إضافة إلى أن المبنى مليء بالأروقة والأقواس التي تزينها (رايمون أ.، 1994، صفحة 29).

- مسجد الأزهر:

- وهو من أشهر المساجد الموجودة بالقاهرة وقد تم بناؤه في العهد الفاطمي من قبل جوهر الفاطمي في الفترة الممتدة من سنة 970م إلى 972م، وقد بناه جنوب قصره الكبير ليكون مركزا للدعاية الشيعية في مصر في عهدهم (رايمون أ.، 1994، صفحة 39)، وهو من أشهر المدارس والمساجد في العالم الإسلامي، كما أنه وجهة للطلبة من كل أنحاء البلاد الإسلامية ويتراوح عدد طلابه ما بين خمسة إلى ستة آلاف طالب (leon، 1893، صفحة 50)، وهو من أول الأعمال المعمارية الفاطمية التي عاصرة تأسيس القاهرة، واسمه مأخوذ من تسمية الزهراء لقب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي سميت باسمها مقصورة في هذا المسجد، ويرى بعض المؤرخين أن هذه التسمية نسبة إلى القصور الزاهرة التي بنيت حينما أنشئت القاهرة، بينما يرى البعض الآخر أنه سمي كذلك تفاؤلا بما سيكون له من الشأن والمكانة في ازدهار العلوم، ومن الملاحظ أن هذه التسمية تشابه بعض الأسماء التي أطلقت على مؤسسات في ذلك العصر مثل مدينة الزهراء في الأندلس، وربما كانت هذه من باب المنافسة لها (نجيب، 2000، صفحة 453)

يقال أيضا أن أصل تسميته مأخوذ من الزهور، وتاريخ بناءه هو تاريخ تأسيس القاهرة، يمتاز بفنية وجمالية عمارته فهو مسبوق بحرم وبه أروقة تعلوها أقواس حادة (moncorps، 1873، صفحة 53)، وتم توسيع المسجد في عهد عبد الرحمن في نهاية القرن الثامن عشر ميلادي وأدخلت عليه تعديلات كبيرة، وهو يتخذ شكلا رباعي الأضلاع مع وجود صحن في الوسط محاط بثلاث أروقة مقنطرة، والمسجد مزخرف على النمط الطولوني ويصور مراحل تطور الفن المعماري الفاطمي (رايمون أ.، 1994، صفحة 57)، كما يحتوي الأزهر على 380عمود مصنوع من الرخام السماقي.

- مسجد ذات السلطان حسن:

- يعتبر هذا المسجد من أبرز الأمثلة الواضحة لعظمة الفن المعماري الإسلامي في العهد المملوكي، وهو عبارة عن جامع وفي نفس الوقت يستخدم كمدرسة، وهو من أجمل مساجد القاهرة وموضعه في بيت الأمير اليحياوي، وابتدأ بناؤه 757هـ ولا يعرف بناء في البلاد الإسلامية في ذلك الوقت يضاهي هذا البناء، وقد استغرق بناؤه مدة ثلاث سنوات بدون راحة ورصد لبنائه أموال ضخمة، وقد قيل أنه تم صرف مائة ألف درهم على بناء

القالب الذي بني عليه عقد الإيوان الكبير (زكي، 1966م، صفحة 127).

- اكتمل بناؤه في سنة 1356م وهو من المباني الإسلامية الجميلة، وفي داخله نجد فناء مربع به نقوش عربية كبيرة مرسومة باللون الأزرق والذهبي والأخضر، أما الجدران فهي مرصعة بالرخام وألوانها مختلفة (moncorps، 1873، صفحة 54)، وهي عالية جدا مثقوبة بفتحات واسعة وتعلوها أفاريز عالية جدا وبارزة، وبصفة عامة مسجد حسن رائع جدا ويمتاز بهندسته المعمارية الراقية وهو جديد في بنائه مقارنة ببقية المساجد (leon، 1893، صفحة 53)، ولا تزال مصابيحه الزجاجية المطلية بالمينا محفوظة في متحف الفن الإسلامي (زكي، بناة القاهرة في ألف عام ، 1998، صفحة 63).

ج- الكنائس :

مدينة القاهرة لا تحتوي في داخلها على العديد من الكنائس فهي قليلة مقارنة بالمنشآت الدينية الأخرى، وتقع معظم الكنائس المسيحية في الحي العتيق داخل النطاق المسمى قصر الشمع، وكل طائفة مسيحية لها كنائسها الخاصة بها التي تمارس بها شعائرها بسلام وأمان (الفرنسية، 1992م، صفحة 206) ومن أهم الكنائس المشهورة بالقاهرة:

- كنيسة سانت سيرج وهي مقسمة لثلاث أقسام من خلال شبكات في الأخشاب العالية جدا التي تقطعها عند الجهة للوصول إلى مذبح الهيكل، ونجد كل الإطار من المبنى محدث، ويوجد مذبح داخل الكنيسة أمامه في كلا الطرفين يوجد درج من 12 خطوة تنزل من خلالها إلى مصلى تحت الأرض مكون من صحنين يمكن أن يكون لهما طول 12 خطوة وعرض 6 خطوات (francois، 1875، صفحة 41).

- كنيسة سانت ماري الموجودة بالحي القبطي فيها درج يقود لسرداب مقسم إلى ثلاث بلاطات بواسطة أعمدة صغيرة غارقة تحت الألواح (missionnaire، 1879، صفحة 77)، على اليمين ترى غرفة نوم العذراء وعلى اليسار غرفة القديس يوسف، أما الخطوط الجانبية فهي منحوتة بالرخام (missionnaire، 1879، صفحة 78)، وهذه الكنيسة القبطية تتكون من ثلاث بلاطات وصفين من الأعمدة (marquette، 1892، صفحة 45).

- كنيسة الروم وتقع بالحرة الرومية وهي جيدة البناء بدرجة كبيرة، ويوجد بها حوالي ستة عشر إلى ثمنية عشر عمود مصنوع من الرخام، وعلى جدرانها ترى العديد من لوحات الحواريين مثبتة ويقام بها القداس يوم الأحد باليونانية والعربية، وهي تقريبا الكنيسة الرومية الوحيدة الموجودة بمدينة القاهرة، إلا بعض الكنائس الموجودة في مدينة مصر القديمة (الفرنسية، 1992م، صفحة 207).

د- الأهرامات :

يوجد هرم كبير على اليمين وآخران أصغر حجما منه على اليسار، وهي ضخمة وممتلئة ومسدودة من كل مكان، وهي بدون نوافذ وبدون أبواب وبدون فتحات خارجية (leon، 1893، صفحة 40)، وجنوب شرق الهرم الأكبر يوجد أبو الهول وهو عبارة عن صخرة طبيعية على شكل حيوان كالأسد برأس إنسان، ويقع قربه مبنى غريب مؤلف من غرف وممرات من الغرانيت الأحمر (leon، 1893، صفحة 41)، كما نجد في مصر مجموعة من المسلات وأشهرها مسلة القاهرة وهي عبارة عن بناء متراص مصنوع من الجرانيت، ويبلغ ارتفاع البناء 75 متر وعرضه عند القاعدة متر واحد، ومكتوب فيها اسم الملك الفرعوني الذي يعود إلى 2700 ق . م، ويقال أن القاعدة مدفونة في الأرض في عمق يتراوح ما بين 7 و8 متر (marquette، 1892، صفحة 50).

المتحف الذي أنشأه الفرنسي ماريت به العديد من الأشياء الرائعة التي تثير الفضول من وجهة التاريخ والفن، فنجد سلات مغطات بالكتابة الهيروغليفية، طاولات الإراقة، موائد القرابين، التماثيل الضخمة، توابيت مصنوعة من الغرانيت ذات حجم هائل والتماثيل تختلف في موضوعاتها فتجد تماثيل الآلهة، الحرفيين، الحيوانات، وهي مصنوعة من مواد مختلفة فتجد الخشبية، العاجية، الرخامية، البرونزية، إضافة إلى وجود أشياء أخرى صغيرة كالمجوهرات، المزهريات، الأقمشة، الألعاب، الأوزان، المقاييس، الأسلحة، الأدوات، التمائم.... (leon، 1893، صفحة 42)

على الضفة الشرقية للنيل مقابل الأهرامات تمتد مساكن وحدائق قديمة إضافة إلى أديرة وأسواق وآثار، وهي المنطقة التي تسمى القاهرة القديمة (leon، 1893، صفحة 44)،

هـ- المقابر :

أقصى جنوب المدينة توجد المقبرة الإسلامية (missionnaire، 1879، صفحة 87)، وتوجد مقبرة ثانية في الجهة الشرقية وتبدأ الأولى من مقابر الإمام نسبة إلى ضريح الإمام الشافعي، وتمتد بعيدا جدا على طريق البساتين وطولها حوالي فرسخ، وقبة ضريح الإمام الشافعي بناها الملك الكامل التي جلب إليها المياه من بركة الحبش (الفرنسية، 1992م، صفحة 222)، وهي المقبرة الرئيسية لمدينة القاهرة تمتد على مساحة هائلة خلف منازل القاهرة، وبها آلاف القبور وتوجد بها توابيت بيضاء، أما بالنسبة للعائلات الغنية فهم يضعون الميت في حجرتين إضافة إلى وجود أكواخ خشبية مطلية تغطي القبور، وعلى قبور أمراء المماليك مساجد صغيرة رائعة (leon، 1893، صفحة 52)، وللقبور العادية تقريبا نفس الشكل حجر مربع عريض يعلوه عمودين دائريين فوقهما مظلة مغطاة بالنقوش باللغة العربية (missionnaire، 1879، صفحة 88)، وتراها على شكل علبة يوجد داخلها أضرحة ساحرة وتوابيت منحوتة، وفي فناء الساحة المحيطة بالقبر تجد عددا من الأشجار مغروسة (marquette، 1892، صفحة 36)، وأما بالنسبة للمقبرة الشرقية فهي تقع في الشمال الشرقي لمدينة القاهرة ومعروفة بمقبرة المماليك، وتعد هذه المقبرة من أهم المناطق الأثرية في مدينة القاهرة (الألفي، د.ت، صفحة 5)، كما تعرف كذلك باسم ترب قايتباي وتتصل بالمدينة بواسطة حي القبة في امتداد يصل إلى حوالي فرسخ (الفرنسية، 1992م، صفحة 223)، كما أنه تم تخصيص مقابر خاصة بالنصارى وهي موجودة في الحي القبطي ومحاطة بجدران طويلة (missionnaire، 1879، صفحة 77).

- من العادات المصرية المعروفة أثناء زيارة المقابر أن يخصص يوم الجمعة عند طلوع الفجر للزيارة، وتتم فيها الصلاة وتزرع الأزهار والنباتات العطرية، ويذهب الرجال والأطفال والنساء إلى هناك مع بعض، وعادة ما ترى جمع الزائرين للمقابر ضخما مما يشكل مشهد ديني مؤثر ورائع، وداخل كل قبر توجد مجموعة من المصاطب حتى يتمكن الزوار من الجلوس عليها والدعاء أمام القبر (الفرنسية، 1992م، صفحة 223).

و- القصور:

- كانت الطبقة الحاكمة تحتاج لأماكن إقامة شاسعة تتسع لتشييد مباني كبيرة ولزرع الحدائق والبساتين، وفي كثير من الحالات كانت هذه الطبقة تسعى للانعزال عن السكان لرغبتها في الحصول على خصوصية اجتماعية (رايمون أ.، 1994، صفحة 238)، وقد شيدت هذه الطبقة بالقاهرة العديد من القصور ويقع أغلبها قرب نهر النيل، ومعظمها ملك للطبقة

الحاكمة ومن أشهرها قصر الجزيرة وقصر النيل (moncorps، 1873، صفحة 50)، قصر أبو الفدى أو ما يعرف بقصر الضوء في أعلى القاهرة القديمة، وهو بناء قديم إذ تشير بعض الكتابات على أنه بني قبل التواجد الفارسي (francois m.، 1835، صفحة 18)، وكذلك قصر إسماعيل باشا الخديوي وهو من القصور الجميلة بمدينة القاهرة، وهو مليء بالخزائن المذهبة، كما أن السلالم الموجودة به مصنوعة من الرخام، وقد كلف بناء هذا القصر أمولا كبيرة وصلت إلى 82 مليون (marquette، 1892، صفحة 58).

- توجد بهذه القصور حدائق ساحرة مليئة بالزهور من جميع الأنواع وبها أشجار البرتقال إضافة إلى أنواع أخرى (moncorps، 1873، صفحة 50)، كما تتصف القصور بخصائص جميلة تميزها حتى على قصور أوربا فتجد أن أثاثها ثري بالسجاجيد والستائر والأقمشة التي تغطي الصفات والأرائك، إضافة إلى وجود العديد من المساند الموزعة في كل جوانب القاعات، ونجد بالقصر كذلك أقمشة جميلة مقصبة بالذهب والحرير، كما تزدان مداخل القاعات بوجود أنيات يابانية كبيرة (الفرنسية، 1992م، صفحة 209).

ي- السجون:

من أشهر السجون الموجودة في القاهرة سجن الديون، وهو سجن يتكون من طابقين بهما غرف للسجناء، وهته الغرف مقسمة على حسب الطوائف، فهناك غرف مخصصة للمسلمين العرب والأتراك، وغرف مخصصة للأقباط اليونانين، وغرف منفصلة لليهود، وكان هذا السجن مخصصا لكل من له دين ولم يتمكن من دفعه (francois m.، 1835، صفحة 41) .

04- التفاعلات الاقتصادية لمجتمع مدينة القاهرة:

أ-الأنشطة التجارية :

عرفت مدينة القاهرة حركة تجارية ضخمة حيث كانت تتدفق عليها البضائع من الهند والحبشة، ومن آسيا الصغرى ومن المدن الأوربية التي كانت كثيرة التعامل مع القاهرة، خاصة المدن الإيطالية روما فلورنسا ميلانو البندقية (الأمين، 2014، صفحة 49)،و اهتم حكام مصر الإسلامية بالأسواق والمنشآت التجارية، وعملوا على النهوض بها لتحقيق الأغراض الاقتصادية التي قامت من أجلها، ولقد قامت الأسواق في مدن مصر منذ الفتح الإسلامي وبدأت في التطور شيئا فشيئا (الأمين، 2014، صفحة 21)، وأصبحت المشاهد الخلابة للزحام بشوارع القاهرة المشهورة كشارع القصبة وخان الخليلي صورة يتكرر ذكرها في كتابات الرحالة في مختلف القرون، وفي الواقع يمكن القول أن هذه المنطقة كانت من أهم المنطق الإنتاجية والاستهلاكية، ومكان لتراكم وإعادة توزيع المنتجات على مصر كلها، كما تعد مركزا رئيسيا لتجارة الترانزيت الدولية والتي شكلت أساس التجارة الخارجية لمصر (رايمون، 2005، صفحة 413).

كانت القاهرة مركزا أساسيا للإنتاج والاستهلاك في مصر، وكانت أيضا مركز لتنظيم الحياة الاقتصادية ونقطة الانطلاق للاقتصاد الوطني، وبؤرة تركز المواد الضرورية والحاجات الزائدة، وعلى العموم كان يتم عن طريق القاهرة إعادة توزيع المنتجات الواردة من الخارج، كما كانت ترد إليها منتجات سائر الأقاليم والتي كان يعاد تصديرها إلى الخارج، وكل هذا التميز راجع لأهمية موقعها الإستراتيجي فهي تعد مفترق للطرق (رايمون، 2005، صفحة 414).

يوجد بالقاهرة العديد من الأسواق وهي مليئة بالمتاجر والمقاهي التي يتميز تجارها ومالكوها بحسن المعاملة والاستقبال (delaplanche، 1876، صفحة 30)، ومن أهم مميزاتها أن

البائعين لا يعرضون عليك السلع بل تختار بنفسك ما يناسبك، فالعربي لا يصر ولا يتفاخر لبيع سلعه (delaplanche، 1876، صفحة 40)،لكن تجار القاهرة يعطون المشتري أسعار كبيرة وبعد المفاوضات قد تصل إلى نصف السعر، ويكثرون عليك كلمة مفيش، وفي بعض الأحيان يقدمون للمشتري القهوة والسجائر.

البازارات في القاهرة تعتبر من أهم الأسواق العالمية وهي كبيرة جداو بها جميع أنواع البضائع (vausc، 1883، صفحة 15)، ومقسمة حسب التخصص أهمها: المجوهرات، الأسلحة، السجاد، التطريز، النعال، السمك، السلال، السروج، الفاكهة، وأعلب السلع الحرفية تصنع في عين المكان (moncorps، 1873، صفحة 56).

كما تجد أنواع أخرى من الأسواق تعتبر من الأسواق الغنية والرائدة مثل سوغ الصاغة، سوق الحرير، سوق العطارين التي تكاد تختنق فيها بسبب الروائح التي تفوح منها، (l francois.، 1875، صفحة 52)و تعتبر هذه السوق من أهم الأسواق بالقاهرة وهي تقع بالقرب من حارة الجودرية، وهذه السوق مكتظة بأنواع الطيب المختلفة كالزبد والمسك والعنبر والجاوي، وهذه المنتوجات متوفرة بكثرة حيث إذا أردت شراء درهم مسك يريك البائع مئة رطل، وبالإضافة للعطور كانوا يبيعون الأدوية المختلفة (الأمين، 2014، صفحة 42)، وكذلك نجد سوق صانعي الأحذية الأصلية، وتجد هذه الأسواق مكتظة كثيرا بالعرب وكذلك خلق كثير من الأتراك والتجار يبدلون جهدا كبيرا في مهنتهم ويعرضون منتجاتهم للمتجولين .

لم يختلف شكل الحوانيت أو المتاجر في مدينة القاهرة عن شكل حوانيت بقية المدن الإسلامية الكبرى (رايمون، 2005، صفحة 444)، مساحة المتاجر على العموم تتراوح ما بين ستة إلى سبعة أقدام مربعة وهي مناسبة وكافية للممارسة الأنشطة التجارية، وفي نفس الوقت تستعمل كورشات للعمل وتجد في وسط المحل حصيرة وعلى الجوانب السلع مكدسة على الرفوف حولهم، وتجد في أغلب المحلات مصحفا للقرآن مفتوحا إلى جانب التاجر ويرتدون سبحة في اليد أو الذراع (l francois.، 1875، صفحة 52).

غالبا ما تجد المتجر مزود بغرفة إضافية تستخدم كمخزن للبضائع كما أن التجار الكبار لهم وكالة إضافية يخزنون بها السلع، وترتفع أرضية المتجر بقدمين أو ثلاث عن سطح الأرض، وغالبا ما تجد مصطبة المتجر ممتدة إلى خارج المحل لتشكل مقعدا حجريا يجلس فيه التاجر والزبائن الذين ينتظرون، ويتجاذبون فيه أطراف الحديث والجدل الذي قد يطول مداه قبل عقد الصفقة النهائية، والمصاطب التي تحدثنا عنها كانت تخلق عوائق لحركة المارة وناقلي البضائع وتنتج ازدحاما كبيرا (رايمون، 2005، صفحة 444)، وفترة الازدحام في الأسواق تكون خاصة في الفترة الصباحية لأن السكان يتوافدون باكرا من كل المناطق المجاورة للمدينة (vausc، 1883، صفحة 15).

من أشهر أسواق القاهرة القديمة: سوق دار البركة، سوق بربر، سوق وردان، السوق الكبير، سوق البراغيث، سوق المغاربة، سوق الوزير، سوق الصيادين، سوق السماكين، سوق الزياتين، سوق حبس بناته، سوق دار فرج، سوق مسجد العثيم، سوق نوام، سوق أحاف، سوق مسجد القرون، سوق معتوق، سوق ابن العجمية، سوق دار النحاس، سوق كنائس أبي شنودة، سوق الرجاف، سوق العراقين، سوق عدوان، سوق الرقيق (الأمين، 2014، الصفحات 17-20).

ب- الأنشطة الزراعية :

طريق القاهرة مليء بالحقول الخضراء المملوءة بالزهور، وهنا وهناك ترى قطعان من الأبقار والأغنام وتراها محروسة بكلاب الرعي (leon،

1893، صفحة 38)، كما يوجد على ضفاف النيل غابات كبيرة للنخيل ذات الجدع النحيف وهي كثيفة لدرجة أنه تحجب أشعة الشمس (paul، 1865، صفحة 27)، وأرض مصر خصبة دون سماد ودون مطر بسبب طين النيل الذي يخصب جميع الأرض التي يغطيها، أما المحصول فيكون من اثنين إلى ثلاث مرات في السنة، وأهم المحاصيل الزراعية التي تنتجها أراضي القاهرة القمح، الشعير، الذرة، القطن، الأرز، قصب السكر، القهوة، التبغ، ....أما نظام السقي المعروف في المنطقة هو نظام القنوات المائية التي تأتي من نهر النيل (marquette، 1892، صفحة 51)،و الطوفان يترك الطمي الخصب في كل مكان الذي يحمله معه من الحبشة، ولهذا تعتبر التربة المصرية من أخصب أنواع التربة في العالم، ونهر النيل له فضل كبير في نشأة مدينة القاهرة لأنه أعطاها حيوية اقتصادية كبيرة (الأمين، 2014، صفحة 117).

و تتم عملية نقل الإنتاج الزراعي عن طريق القوارب التي تراها تعبر نهر النيل، وهي تعتمد في حركتها على قوة الرياح التي تضخم أشرعتها (leon، 1893، صفحة 55)، وكانت تصل حمولة هذه السفن إلى حمولة خمس مائة بعير أو أكثر، وكان عددها بالآلاف سنويا (الأمين، 2014، صفحة 119)، ونقل البضائع عبر النيل في القاهرة خاصة وفي مصر عامة كان من أنجع الطرق الاقتصادية، وذلك نظرا لما يوفره للتجار من ربح للوقت وحمل حمولة أكبر وكذلك دفع مصاريف أقل في عملية النقل إضافة إلى تأمين البضائع من السرقة وقطاع الطرق، وأهم المحطات التجارية في النيل القاهرة الرشيد، القاهرة الصعيد، الرشيد الإسكندرية (رايمون، 2005، صفحة 417).

عرفت الزراعة في مصر تطورا ملحوظا مع عهد محمد علي الذي اهتم بها كثيرا، وقام بتوفير موارد مالية كبيرة خصيصا لدعم هذا القطاع الاستراتيجي، وألغى نظام الالتزام بالنسبة للأراضي الزراعية على مرتين ورفع أيدي الملتزمين عن التصرف فيها (اسماعيل، 1997، صفحة 83)، طموح خديوي مصر جعل من مصر أكبر دولة زراعية وتجارية في العالم، وبدأت مصر تعرف تقدما ملحوظا في النشاط الزراعي والصناعي وزاد الإنتاج الزراعي خاصة في محاصيل القمح والأرز وكذلك قصب السكر الذي أصبح ينتج بوفرة كبيرة (moncorps، 1873، صفحة 48)، كما أن مدينة القاهرة عرفت مع أواخر القرن التاسع عشر ميلادي إنشاء خطوط السكك الحديدية والعديد من المصانع لتصنيع السكر ومصانع خاصة بالقطن (moncorps، 1873، صفحة 48).

05- خاتمة:

تعد مدينة القاهرة التاريخية من أهم وأكبر المدن التراثية في العالم، حيث أنها تعتبر مدينة حية تتميز بثراء نسيجها العمراني، بالإضافة إلى تعدد الآثار والمباني التاريخية بما يعبر عن تاريخ القاهرة الطويل بصفتها عاصمة سياسية وثقافية وتجارية ودينية مهيمنة ورائدة في العالم الإسلامي،وتُعد هذه المدينة نموذجاً متميزاً للمعمار الإسلامي؛ حيث جمعت العديد من الأمثلة المعمارية الفريدة من عصور الأمويين والطولونيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين، ونظراً لوفرة وثراء هذا المعمار الذي يزين سماء القاهرة فقد عرفها العلماء والمؤرخون والجمهور باسم "مدينة الألف مئذنة."،وقد أدى موقع القاهرة الاستراتيجي إلى التفاعل البشري المستمر مع الموقع، حيث أصبحت محط أنظار الرحالة الأوربيين وعلى رأسهم الفرنسيين الذين أعجبوا بها وتعلقوا بها، خاصة بعد الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، وبعد أن أصبحت العلاقات بين فرنسا ومصر قويةأكثر في عهد محمد علي، وكانت

مدينة القاهرة من أولى المحطات التي يقصدها الرحالة وذلك لتوفرها على العديد من المقدسات الدينية التي لها علاقة بالديانة المسيحية، وكذلك لاحتوائها على الأهرامات التي تعد من عجائب الدنيا، ومجموعة أخرى من الآثار العمرانية المتنوعة، وكذلك جمال الطبيعة وتمازجه وتناغمه الذي سحر أعين الرحالة، وجعلهم يؤلفون كتبا عديدة يمدحون فيها عظمة المكان، وصورا لنا تطور النمط العمراني لسكان القاهرة وتقدمهم الكبير، إضافة إلى التطور الكبير في المجال الاقتصادي بسبب موقعها الإستراتيجي الهام، حيث كانت محورا للتبادل التجاري بين العديد من المناطق.

مصادر الرحلة الفرنسية متوفرة بكثرة وبها معلومات واسعة ومتنعدة عن مجالات أخرى، لا يمكن معالجتها كلها في هذا المقال، ولذلك فالباب مفتوح للباحثين والمهتمين بتاريخ المنطقة لمعالجة قضايا أخرى تتعلق خاصة بنمط معيشة سكان القاهرة، وعاداتهم وتقاليدهم، ومجالات أخرى.

06- قائمة المراجع:

العربية:

01- اسماعيل محمد حسام الدين .(1997) . *مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى اسماعيل 1805-1879م*.القاهرة، مصر :دار الآفاق العربية .

02- الألفي آمال محمد صغوت(د.ت)*القاهرة الأسلامية آثار صحراء المماليك*.مصر :مطبعة مركز تسجيل الآثار المصرية.

03- الأمين محمد عوض الله .(2014) .*أسواق القاهرة منذ العهد الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك*.القاهرة، مصر :الهيئة المصرية العامة للكتاب.

04- الغيطاني جمال (1997) .م .*ملامح القاهرة في ألف سنة* .القاهرة، مصر :دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

05- علماء الحملة الفرنسية(1992) .م .(*وصف مصر*) .(Vol. 01)ز .ا .الشايب (.Trad ,القاهرة، مصر :دار الشايب للنشر.

06- رايمون أندريه(2005) .*الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر*.القاهرة، مصر : المجلس الأعلى للثقافة.

07- رايموناندريه .(1994) .*القاهرة تاريخ حاضرة* .القاهرة، مصر :دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع .

08- زكي عبد الرحمن(1966) .م .*القاهرة تاريخها وآثارها (1865-969) من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ*.مصر :الدار المصرية للتأليف والترجمة.

09- زكي عبد الرحمن .(1998) .*بناة القاهرة في ألف عام* .مصر :الهيئة المصرية العامة للكتاب .

10- نجيب حسن الباشا، عبد الرحمن فهمي . .(2000)*القاهرة تاريخها فنونها آثارها*.القاهرة، مصر :مؤسسة الأهرام.

الفرنسية:

01- beluze l'abbé. (1864). *pérégrinations en orient et en occident.* paris, france: librairie lethielleusc castermann.

02- delaplanchel'abbé. (1876). *le pélerin voyage en egypte en palestine en syrie a smyrne et a constantinople.* france: m lever libraire.

03- edmondpressensé. (1864). *le pays de l'évangile notes d'un voyage en orient .*

paris, france: librairie de ch meyrueis éditeur.

04- eshemannjoshef. (1897). *souvenirs d'un voyage en terre sainte en 1874.* friboury, france: imprimerie catholique.

05- francoislacoste. (1875). *le glaneur sur le chemin de jerusalem ou mon pélerinage en terre sainte .* dijon, france: imprimeur de mgr léveque.

06- francoismichaude joseph. (1835). *correspondance d'orient 1830-1831 .* paris, france: docollet libraire.

07- leonmotthere. (1893). *mon pélerinage en orient .* paris, france: victore lecoffre.

08- marquettelouise. (1892). *atravers la syrie souvenirs de voyage.* lille, france: societe de sainte augustin.

09- missionnaire j t. (1879). *une esccursion en orient .* limoges, france: engéne ardant et cie éditeurs.

10- moncorpsde savigny. (1873). *journal d'un voyage en orient 1869-1870 egypte syrie constantinople .* paris, france: librairie hachette et cie .

11- paulleon. (1865). *journal de voyage .* paris,france: librairie francaise et etrangere.

12- sallede eusébe. (1840). *pérégnation en orient ou voyage pittoresque historique et politique en egypte nubie syrie turquie gréce pendant les années 1837 1838 1839.* paris, france: l. gurmer éditeur.

13- vauscde ludovic. (1883). *la palestine illustré par m p chardin.* paris, france: ernest lerousc éditeur.